المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية

بدمياط الجديدة



الأسس الإسلامية للسلام والتسامح
دراسة عقدية

الأستاذ الدكتور

سعيد عبد الحميد علي الهواري

أستاذ العقيدة والفلسفة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر- مصر

العدد السابع عشر (مارس ٢٠٢٥م)

الترقيم الدولي/ (٦٣٥٣- ٢٣٥٦) ISSN

الترقيم الدولي الإلكتروني/ (٢٧١٦- ٢٦٣٦)

رقم الإيداع بدار الكتب/ (١٨٧٦٦/ ٢٠١٣)

الأسس الإسلامية للسلام والتسامح دراسة عقدية

ملخص البحث:

من خلال حث الإسلام على السلام والتسامح بين جميع أفراد المجتمع كان هذا البحث الذي تناولت فيه أهم الأسس الإسلامية التي يحثنا عليها الدين الإسلامي الحنيف مراعيا في ذلك أحكام الشريعة الإسلامية التي أمرت المسلم بالإحسان إلى أخيه المسلم أيا كان مذهبه في الفقه أو العقيدة، فالسلام سبب التآلف والتحاب ومفتاح استجلاب المودة، ففي إفشائه تكمن ألفة الإنسانية بعضهم لبعض، وإظهار ذلك في الإسلام يميزهم عن غيرهم من أهل الأديان الأخرى.

وقد أوضح البحث أن السلام من أسماء الله تعالى، فهو الذي تسلَم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر، وأوضح أيضا أن الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه.

وكذلك التسامح الديني فهو أعظم ثمرة من ثمراتِ التَّعايش السلميِّ والتآخي الإنساني، والسماحة هي سهولة المعاملةِ فيما اعتادَ الناس فيه الشِّدة، فهي وسط بين الشِّدة والتَّساهل؛ أي: بين الإفراط والتفريط، وهو ينبثق من التعاليم الواردة في القرآن والسنة: "التي تحثُّ المسلمين على اعتمادِ السماحةِ في معاملةِ بعضِهم بعضًا، أو معاملة مَن يخالفونهم في الدين.

فالمجتمع الإسلاميُّ يتمتَّع برُوحِ السماحةِ وتقبُّل الآخر والتعايش معه، واللُّطف في المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانيَّة من البِرِّ والرحمةِ والإحسان، ويتمتَّع أيضًا بمكارمِ الأخلاقِ، فلا يضيق صدرُه من آراء المخالفين وأفكارهم.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، السماحة، العدل، التعايش، العفو، المعاملة.

Islamic Foundations of Peace and Tolerance
A Doctrinal Study

Abstract:

This study explores the key Islamic foundations of peace and tolerance, emphasizing the principles encouraged by Islam while adhering to the rulings of Islamic law, which commands Muslims to be kind to one another regardless of their jurisprudential or theological differences. Peace fosters harmony, love, and goodwill, and its spread strengthens human bonds. In Islam, the practice of peace distinguishes Muslims from adherents of other religions. The research highlights that "As-Salam" (Peace) is one of the names of Allah, signifying that His essence is free from defects, His attributes are flawless, and His actions are free from evil. It also explains that Islam itself means entering into peace, ensuring that individuals do not cause harm to one another. Religious tolerance is one of the greatest fruits of peaceful coexistence and human fraternity. Tolerance represents ease in interactions where people commonly expect difficulty; it is a balance between

harshness and excessive leniency, avoiding both extremism and negligence. This concept is rooted in the teachings of the Quran and Sunnah, which urge Muslims to practice tolerance in their dealings with fellow Muslims and with those of other faiths. Islamic society is characterized by a spirit of tolerance, acceptance of others, coexistence, kindness in dealings, care for neighbors, and broad humanitarian values such as righteousness, mercy, and benevolence. It is also distinguished by noble morals, allowing for open-mindedness toward differing opinions and perspectives.

Keywords: Islam, Tolerance, Justice, Coexistence, Forgiveness, Interaction.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ...

فالإسلام دين السلام، وقد حثّ الله- تعالى- على نشر السلام وترسيخه في الأرض، وجعله- تعالى- اسمًا من أسماء الله الحسنى، وتحية المسلمين فيما بينهم، كما أن التسامح هو جوهر الإسلام، الذي يقوم على العفو والمغفرة، والصفح عن المسيء، وعدم مقابلة السيئة بالسيئة، بل بالتي هي أحسن.

فالدين الإسلامي دين الخلق العظيم، والأدب الجمّ الذي يربط بين أفراده بروابط قوية، ويدلهم على سبل الودِّ المستقيمة، ويسعى إلى تربية المسلم على التعايش الجماعي، والعيش السلمي، ويزرع في نفس المسلم حب المسلمين والاقتراب منهم، ويقلع من داخله الحقد والبغضاء تجاههم.

ومن خلال حث الإسلام على السلام والتسامح بين جميع أفراد المجتمع كان هذا البحث الموضوع تحت عنوان " الأسس الإسلامية للسلام والتسامح " تناولت فيه أهم الأسس الإسلامية التي يحثنا عليها الدين الإسلامي الحنيف مراعيا في ذلك أحكام الشريعة الإسلامية التي أمرت المسلم بالإحسان إلى أخيه المسلم أيا كان مذهبه في الفقه أو العقيدة، كما أمرته بالبر والإحسان إلي غير المسلم أيا كان دينه .

منهج البحث:

استخدمت في هذا البحث المنهج التكاملي، الذي يحتم علينا استخدام عدد من

المناهج العلمية لبحث الموضوع، منها: المنهج التحليلي، والذي يظهر في ثنايا البحث عند تحليل الآراء وتوضيحها والوقوف على أبعاد كل رأي منها، والمنهج الوصفي وذلك من خلال عرض الآراء من مصادرها.

خطة البحث:

قمت بترتيب البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة ثم الفهرس والمصادر .

- **المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية البحث، ومنهج البحث، وخطته.**
- **المبحث الأول: توضيح مصطلحات البحث**
- **المبحث الثاني: الأسس الإسلامية للسلام**
- **المبحث الثالث: : الأسس الإسلامية للتسامح**

والله– تعالى– أسأل أن يكتب لنا الإخلاص والتوفيق والقبول .....اللهم آمين

الدكتور

سعيد عبد الحميد علي الهواري

أستاذ العقيدة والفلسفة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر– مصر

ومعهد الوسطية وثقافة السلام بدولة جيبوتي الشقيقة



المبحث الأول

تعريف المصطلحات المتعلقة بالبحث

أولا: الإسلام لغة واصطلاحا:

الإسلام لغة: الاستسلام والطاعة والانقياد، ومنهُ: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(١) أي: انقَدْنا، فهو مصدَر: أَسْلَمَ إسلامًا.

يقول أبو البقاء الحنفي: الإسلام الانقياد الْمُتَعَلّق بالجوارح كَمَا فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَكِن قُولُوا أسلمنَا﴾(٢).

ويقول ابن فارس في مادة (سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية.... فالإسلام، هو الانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع(٣) ويقول الراغب الأصفهاني: الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه(٤).

---

(١) ينظر المعين على تفهم الأربعين : المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص الشافعي المصري (ت ٨٠٤ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م والآية من سورة الحجرات: ١٤

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري : الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ص ١١٢

(٣) معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ٣/ ٩٠

(٤) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، دار المعرفة ، ص:٢٤.

الإسلام اصطلاحا: الإسلام له معنيان: الأول: الانقياد والاستسلام لأمر الله طوعا وكرها ، قال تعال: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾(١).

الثاني: إخلاص العبادة لله – عز وجل – وحده لا شريك له، وهذا الإسلام هو الذي يحمد عليه العبد ويثاب(٢).

ويطلق الإسلام أيضا على كل ما جاء به سيدنا محمد،ﷺ فيشمل ذلك عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح، وهو بذلك يكون مرادفا للإيمان، وهذا المعنى يدل عليه حديث سيدنا جبريل عندما فسر النبي ﷺ الإسلام بقوله: "أن تشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً"(٣).

ثانيا: السلام لغة واصطلاحا:

السلام لغة: اسم مصدر من سلّم يسلِّم تسليما، وهو بمعنى النجاة والتخلص مما لا يُرغب فيه، يقال: سلم من الأمر إذا نجا منه، فالله –سبحانه وتعالى– هو السلام؛ ويدعوا إلى دار السلام.

جاء في معجم مقاييس اللغة: الله جل ثناؤه هو السلام ؛ لسـلامته مما يلحق

(١) سورة آل عمران: ٨٣

(٢) راجع لسان العرب:١٢/ ٩٣٢. و معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، رقم الحديث ٧ دار طوق النجاة ،الطبعة: الأولى عام ١٤٢٢ ه . ١/ ٢٣

المخلوقين من العيب والنقص والفناء[١] قال الله جل جلاله: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٢] .

وجاء في لسان العرب: والسَّلامُ اللَّه- عز وجل-، اسْمٌ مِنْ أَسمائه لسَلامته مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَالْفَنَاءِ، حَكَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنه سَلِمَ مِمَّا يَلْحق الْغَيْرَ مِنْ آفَاتِ الغِيَر وَالْفَنَاءِ، وأَنه الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي تَفنى الْخَلْقُ وَلَا يفْنى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"[٣].

وفي تاج العروس: أن السَّلَام: من أَسْماءِ الله- تعالى- وعزّ؛ لسلامته من النَّقْص والعَيْب والفَناء، حَكَاهُ ابنُ قُتَيْبة، وَقيل: مَعْنَاهُ أَنه سَلِم ممّا يلحَقُه من الغِيَر، وَأَنه الْبَاقِي الدّائِم الَّذِي يَفْنَى الخَلْقُ وَلَا يَفْنَى، وَهُوَ على كل شَيْء قَدِير[٤].

السلام اصطلاحًا:

يطلق لفظ السلام في النصوص الشرعية ويراد به عدة أمور، ترجع كلها عند التأمل إلى معنى مادة الكلمة، وهو البراءة من العيوب، ومن هذه الإطلاقات:

---

(١) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس : ٣/ ٩٠

(٢) سورة يونس: ٢٥

(٣) ينظر لسان العرب : المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ) الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ا لناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ. ١٢/ ٢٩٠

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت : ٣٢/ ٣٧٨

السلام: الحِلم وقول الخير والسداد قال تعالى :﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[١]، قال ابن كثير: أي: إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلمًا، وكما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾[٢].

والسلامُ الخير والبركة: قال- تعالى- في ليلة القدر : ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[٣]؛ أي: سالِمةٌ مِن كل شَرٍّ وضُرٍّ، لا يُقضَى فيها إلا الخير، قال ابن زيد: "﴿سَلَامٌ هِيَ ﴾ ليس فيها شيء، هي خيرٌ كلها"[٤].

وجاء في البحر: هي سلامٌ، جعلها سلامًا؛ لكثرة السلام فيها، قيل: لا يَلْقَوْنَ مؤمنًا ولا مؤمنة إلا سلَّموا عليه في تلك الليلة، وقال منصور والشعبي: سلام، بمعنى التحية؛ أي: تُسلم الملائكة على المؤمنين"[٥].

---

(١) سورة الفرقان: ٦٣

(٢) تفسير القرآن العظيم : المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: سامي بن محمد السلامة : الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م ٦/ ١٢٢ والآية من سورة القصص : ٥٥

(٣) سورة القدر: ٥

(٤) ينظر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - الطبعة: بدون تاريخ نشر ٢٤/ ٥٣٥

(٥) البحر المحيط (في التفسير) المؤلف: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هـ) بعناية: صدقي محمد جميل العطار (جـ ١ و ١٠) - زهير جعيد (جـ ٢ إلى ٧) - عرفان العشا حسّونة : الناشر: دار الفكر – بيروت: ١٠/ ٥١٥

والسلام الأَمَنة والحِفظ: قال- تعالى- في حق سيدنا عيسى- عليه السلام-: ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾[(١)] قال الإمام الطبري- رحمه الله-: "يقول: والأمَنة مِن الله عليَّ مِن الشيطان وجندِه يومَ وُلِدْتُ أن ينالوا مني ما ينالون ممَّن يُولَد عند الولادة"[(٢)].

والسلام اسم من أسماء الجنةُ وهي "دارَ السلام": قال- تعالى-: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[(٣)] وسميت بالسلام لأنها سالِمةٌ مِن المصائب والابتلاءات، عاريةٌ عن الأحزان والكربات، بعيدةٌ عن الأسقام والآفات، بل هي سعادةٌ دائمة، ونعمة مقيمة، ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾[(٤)].

يقول صاحب تفسير المنار: وَدَارُ السَّلَامِ هِيَ الْجَنَّةُ دَارُ الْجَزَاءِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، أُضِيفَتْ إِلَى اسْمِ اللهِ (السَّلَامِ) كَمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ السُّدِّيِّ وَعَزَاهُ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى الْحَسَنِ وَابْنِ زَيْدٍ أَيْضًا[(٥)].

---

(١) سورة مريم: ٣٣

(٢) ينظر تفسير الطبري ١٨/ ١٩٣

(٣) سورة الأنعام: ١٢٧

(٤) سورة يس: ٥٥ – ٥٨

(٥) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) المؤلف: محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب : سنة النشر: ١٩٩٠ م : ٨/٥٤.

والسلام تحية المؤمنين فيما بينهم في الدنيا وتحيتهم في الجنة: قال تعالى : ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً﴾[١] وقال :﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[٢] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: "إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض فأفشوه بينكم"[٣].

ثالثًا: التسامح لغة واصطلاحًا:

التسامح لغة: مصدر سمح يسمح سماحة وسماحا وسموحة، وتدلّ مادّة (س م ح) كما يقول ابن فارس على معنى السّلاسة والسّهولة، يقال: سمح (بفتح السين) وتسمّح وسامح، فعل شيئًا فسهّل فيه، وأنشد ثعلب في هذا المعنى:

ولكن إذا ما جلّ خطب فسامحت ... به النّفس يوما كان للكره أذهبا[٤]

ويقال أيضا سمح (بضمّ الميم)، وأسمح: إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وذلك لسهولة ذلك عليه[٥].

قال ابن منظور: ويقال: رجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء فيهما، ويقال رجل سميح ومسمح ومسماح، والجمع مساميح (للمذكّر والمؤنّث) [٦].

---

(١) سورة الأحزاب٤٤

(٢) سورةيونس١٠

(٣) أخرجه الطبراني (١٠/١٨٢، رقم ١٠٣٩١)

(٤) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة جاء في لسان العرب ٢/ ٤٨٩

(٥) ينظر مقاييس اللغة (٣/ ٢٩٨)

(٦) لسان العرب لابن منظور (٢/ ٤٨٩- ٤٩٠)

التسامح اصطلاحًا:

التسامح في الاصطلاح يقال على وجهين:

الأوّل: ما ذكره الجرجانيّ من أنّ المراد به: بذل ما لا يجب تفضّلا، أو ما ذكره ابن الأثير من أنّ المقصود به: الجود عن كرم وسخاء[١].

الآخر: في معنى التّسامح مع الغير في المعاملات المختلفة ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها الّتي تتجلّى في التّيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين الّتي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الدّيانات الأخرى[٢].

ومعنى السماحة في الاصطلاح أيضا كما يقول الطاهر بن عاشور: "هي السهولة المحمودة فيما يظن الناس التشديد فيه. ومعنى كونها محمودة: أنها لا تفضي إلى ضرر أو فساد"[٣].

ويتبين مما سبق أن اليسر والسماحة قريبان في المعنى، يعنيان السهولة واللين والسعة ورفع الحرج والضيق والمشقة ونحو ذلك من المعاني الدالة على السلاسة

---

(١) التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ص ١٢١

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة : الرابعة : ٦/ ٢٢٨٨

(٣) مقاصد الشريعة الإسلامية: العلامة محمد الطاهر بن عاشور: من دولة تونس : ت ١٣٩٣ هـ) المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة [ت ١٤٣٣ هـ] الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ٢ / ٥٦١

والسهولة، وصدق الله إذ يقول لرسوله- صلى الله عليه وسلم- قال- تعالى-: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[(١)].

يقول السعدي: "هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم"[(٢)].

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٩

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ص ٣١٣



المبحث الثاني

الأسس الإسلامية للسلام

أولا: أهمية السلام في الإسلام:

مما لا شك فيه أن تاريخ الحضارية البشرية منذ أقدم العصور مرهون باستقرار الأمن والسلام، فالسلام في مقدمة الحاجات الضرورية التي لا سبيل إلى تقدُّم الفرد والمجتمع قبل إشباعها، فلقد خُلق الإنسان اجتماعيًّا بطبعه يعيش مع أهله وأفراده ويتواصلون فيما بينهم .

لقد أدركت البشرية منذ فجر الإسلام بل منذ فجر التاريخ أن إقرار الأمن والسلام هو الدعامة الأولى لتعاونها، في سبيل تحقيق مصالحها المشتركة، التي تكفل لها الاستمرار في البقاء، والسير في مضمار الرقي والنهوض بصرف النظر عن دينها وعقيدتها .

فالسلام سبب التآلف والتحاب ومفتاح استجلاب المودة، ففي إفشائه تكمن ألفة الإنسانية بعضهم لبعض، وإظهار ذلك في الإسلام يميزهم عن غيرهم من أهل الأديان الأخرى، وقد ذكر البخاري – رحمه الله – في صحيحه في باب إفشاء السلام من الإسلام: عن عمار بن ياسر– رضي الله عنه– أنه قال: **"ثَلاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمانَ: الإِنْصافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلامِ لِلْعالَمِ، والإِنْفاقُ مِنَ الإِقْتارِ"**[(١)] .

---

(١) "صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦ هـ) نسخة الحافظ: شرف الدين أبي الحسين علي بن محمد اليونيني (٦٢١ – ٧٠١ هـ) اعتنى به: دار الكمال المتحدة : =



فإن من أراد القرب من الله- تعالى- فعليه بإفشاء السلام، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: **"إنّ أولى النّاس بالله من بدأهم بالسّلام"**[(١)].

ثانيًا: أهم الأسس الإسلامية للسلام:

الأساس الأول : السلام هو أساس العلاقات الدولية في الإسلام:

عرف الإسلام منذ فجره بدعوة السلام الذي هو عنوانه ومادته التي اشتق منها، بنى علاقة المسلمين بعضهم ببعض على المحبة والأخوة لتكون في الأساس علاقات دولية بين الأمم، ومما يؤكد هذا أن لفظ السلام وما اشتق منه في كتاب الله- عز وجل- جاء في أربع وأربعين آية، منها خمس مدنية، والباقيات مكية، في حين لم يرد لفظ الحرب إلا في ست آيات، كلها مدنية، وهنا لفتة جميلة لا بد من التنبه إليها، وهي أن القرآن الكريم يدعو إلى السلام في الدرجة الأولى، ويحث عليه، ويرغب فيه، ويرفض الحرب والتنازع والفرقة .

فالإسلام لا يعرف الحرب التي يكون الباعث عليها مجرد العدوان وطلب المغنم، والتي يحتكم فيها إلى القوة وحدها، وإنما يعرف القتال دفاعًا عن النفس وعن الدين وعن جماعة المسلمين إذا حيل بينهم وبين عبادة الله وحده والدعوة إليه فرسالة الإسلام هي رسالة السلام والتسامح والمحبة، فالإسلام يحث على كل هذا في القرآن الكريم وفي السنة النبوية .

=

الناشر: عطاءات العلم - موسوعة صحيح البخاري، https://bukhari-pedia.net عام النشر: ١٤٣٧ هـ : ١ / ٣١

(١) أخرجه أبو داود (٥١٩٧) من طريق أبي سفيان محمد بن زياد الأَلْهاني الحمصي، عن أبي أُمامة وإسناده صحيح.

فمن القرآن الكريم ما يدل على هذا من الآيات الكريمات فمن ذلك على سبيل المثال:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ[١] فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[٢] أي أن دعوك إلى السلم، يعني الاسلام فصالحهم عليه «وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» إن الله كافيك إن الله «**هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**» وَإِنْ قَالُوا قَدْ أَسْلَمْنَا عَلَانِيَةً، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ[٣].

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: جَنَحُوا للسَّلْم: مَالُوا إلَيْكَ للسَّلْم. الْجُنُوحُ: الْمَيْلُ[٤]. وهذا ما وقع في صلح الحديبية لما طلب المشركون الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله، ﷺ فقد أجابهم النبي ﷺ إلى ذلك مع ما اشترطوا عليه من الشروط؛ رغبة في السلم والمسالمة، ولذلك وضع الإمام البخاري هذه الآية الكريمة تحت "بابُ المُوَادَعَةِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ المُشْرِكِينَ بِالمَالِ وَغَيْرِهِ، وَإِثْمِ مَنْ لَمْ يَفِ بِالعَهْدِ"[٥] حتى ولو كانوا يخدعون النبي- صلى الله عليه وسلم- فمما لا شك فيه أن الله حافظه وناصره كما

(١) يعني: قريظة. وقال الحسن: يعني: المشركين وأهل الكتاب : ينظر التفسير البسيط المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ) الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ ١٠ / ٢٢٥

(٢) سورة الأنفال:٦١

(٣) سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) المؤلف: محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) تحقيق: سهيل زكار الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ص ٣٠٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة ٢ / ٢٣٠

(٥) راجع صحيح البخاري: ٣ / ١٦٥

يقول ربنا في قرآنه: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾[(١)] يَعْنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ حِينَ قَالُوا: نَحْنُ نُسْلِمُ وَنَتَّبِعُكَ[(٢)].

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح لتكف عنهم، ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ فإن الذي يتولى كفايتك الله، ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر، ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني الأنصار، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ يعني بين قلوب الأوس والخزرج، وهم الأنصار، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ للعداوة التي كانت بينهم في الجاهلية، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾؛ لأن قلوبهم بيده يؤلفها كيف يشاء، قال الزجاج: وهذا من الآيات العظام، وذلك أن النبي– صلى الله عليه وسلم– بعث إلى قوم أنفتهم شديدة، ونصرة بعضهم لبعض بحيث لو لطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته حتى يدركوا ثأره، فألف الإيمان بين قلوبهم حتى قتل الرجل أخاه وابنه وأباه[(٣)].

٢– قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[(٤)].

---

(١) سورة الأنفال: ٦٢

(٢) ينظر مغازي الواقدي : المؤلف محمد بن عمر بن واقد [الواقدي] (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق: د مارسدن جونس الناشر: جامعة أكسفورد – لندن، ١٩٦٦ م ١ / ٧٢

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ) تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون : الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م: ٢ / ٤٦٩

(٤) سورة النساء: ٩٤



فقد فسر معنى السلام فيها بالسلم أي: بالمسالمة التي هي ضد الحر، ويدل على ذلك قوله: ﴿ **أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ** ﴾، و لم يقل: عَليكم، فدل على أن المقصود به: ترك القتال؛ كما في الآية الأخرى: ﴿**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾[1].

ومن السنة المطهرة أقول:

لم يكن نبينا ﷺ يدعو إلى الحرب، ولا إلى المخاصمة، والتنازع، ولا إلى التشاجر والتناحر، بل يدعو إلى السلام، ويهدي الناس إليه ويدلهم عليه، فمن ذلك الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم منها :

١- عن عبدالله بن عمرو بن العاص: أن رجلًا سأل رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: أي الإسلام خير؟ قال: **"تُطعِم الطعام، وتقرأ السلام على مَنْ عرَفْتَ ومَنْ لم تعرِف"**[2].

٢- وعن البراء بن عازب قال: **"أمرنا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بسبع: بعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونُصْرة الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم"**[3].

٣- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: **"لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلُّكم على شيء إذا**

(١) سورة النساء: ٩٠ .

(٢) صحيح البخاري. ١ / ٥٥ .

(٣) صحيح البخاري، . ١١/ ١٨ .

فعلتموه تحابَبْتُم؟ أفشوا السلام بينكم"[١].

٤- وعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **«السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ- تعالى- وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ فَأَفْشُوهُ بَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلُ دَرَجَةٍ بِتَذْكِيرِهِ إِيَّاهُمْ السَّلَامَ، فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ»** .

الأساس الثاني: أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى:

وقبل أن أبدأ هنا أود أن أشير إلى أن اسم الله السلام قد ورد مرة واحدة في كتاب الله، وهي: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[٢].

أما عن معنى السلام فقد ذهب الإمام القرطبي في معنى السلام بالنسبة لله- تعالى- إلى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

الْأَوَّلُ: مَعْنَاهُ الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عيب وبرئ من كل نقصى.

الثَّانِي: مَعْنَاهُ ذُو السَّلَامِ، أَيِ الْمُسَلِّمُ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا قَالَ: ﴿**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾[٣].

الثَّالِثُ: أَنَّ مَعْنَاهُ الَّذِي سَلِمَ الْخَلْقُ مِنْ ظُلْمِهِ. قُلْتُ: وَهَذَا قَوْلُ الْخَطَّابِيِّ، وَعَلَيْهِ وَالَّذِي قبله يكون صفة فعل. وعلى أنه البريء مِنَ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ يَكُونُ صِفَةَ

---

(١) صحيح مسلم. ١/ ٢٣٨.

(٢) سورة الحشر: ٢٣

(٣) سورة يس: ٥٨

ذَاتٍ. وَقِيلَ: السَّلَامُ مَعْنَاهُ الْمُسَلِّمُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنُ أَيِ الْمُصَدِّقُ لِرُسُلِهِ بِإِظْهَارِ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِمْ وَمُصَدِّقُ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَعَدَهُمْ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ وَمُصَدِّقُ الْكَافِرِينَ مَا أَوْعَدَهُمْ مِنَ الْعِقَابِ(١).

ويقول الإمام الغزالي في هذا الاسم "السلام" من أسمائه تعالى: هو الذي تسلَم ذاته عن العيب وصفاته عن النقص وأفعاله عن الشر... وكل عبد سلِم عن الغش والحقد والحسد، وإرادة الشر قلبُه، وسلمت عن الآثام والمحظورات جوارحُه، وسلم عن الانتكاس والانعكاس صفاتُه، فهو الذي يأتي الله- تعالى- بقلب سليم(٢).

ويذكر ابن عجيبة أن اسم الله (السلام): جعله من الصفات السلبية فقال: "السلام صفة سلب" ومعرفة الله عز وجل ليست بمعرفة صفات السَّلب، بل الأصل فيها صفات الإثبات، والسَّلب تابعٌ ومقصوده تكميل الإثبات.

"فإنَّ السَّلب لا يراد لذاته، وإنما يقصد لما يتضمَّنه من إثبات الكمال، فكلُّ ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات النقص فإنَّه متضمِّنٌ للمدح والثناء على الله- تعالى- .

والسلام: اسمٌ من أسماء الله عز وجل الدالة على تنزيهه عن النقائص والعيوب على جهة العموم أيضًا، السالم من جميع العيوب والنقائص، كاملٌ في ذاته، وصفاته، وأفعاله، وهو مشتَّقٌ من السَّلامة، أي مبرئٌ من الآفات الظاهرة والباطنة(٣)" فمن تأمل

---

(١) الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـــ - ١٩٦٤ م ١٨/ ٤٦

(٢) ينظر المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى للإمام الغزالي ط دار ابن حزم ص ٦٩

(٣) آراء ابن عجيبة العقدية : المؤلف: عبد الهادي بن عوض العمري : الطبعة: الأولى، ١٤٤١ هــ - ٢٠١٩ م ص ٢٥٤.

اسم الله السلام، وجده متضمنا للكمال السالم من كل ما يضاده.

فالله- عز وجل- هو السلام وتحيته هي السلام ودينه سبحانه هو الإسلام فعن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: إِن الله هُوَ السَّلَام فَإِذا قعد أحدكُم فَلْيقل التَّحِيَّات لله والصلوات والطيبات السَّلَام عَلَيْك أَيهَا النَّبِي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته السَّلَام علينا وعَلى عباد الله الصَّالِحين أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَحده لَا شريك لَهُ واشهد ان مُحَمَّدًا عَبده وَرَسُوله ثمَّ ليتخير من الْكَلَام مَا شَاءَ[١].

الأساس الثالث: أن السلام تحية الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة :

وأبدأ بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾[٢] قال ابن عباس: يريد أن الله يُحيِّهم بالسلام من عنده، وبعضهم يُحَيِّ بعضا بالسلام وعلى هذا قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ مصدر مضاف، فإن جعلته مضافاً إلى الفاعل فهو تحية بعضهم بعضًا، وإن جعلته مضافاً إلى المفعول فهو تحية الله إيّاهم والملائكة، وقد ذكر ابن عباس الوجهين[٣].

والسلام تحية المسلمين الدائمة: فعن أبي هريرة- رضي الله عنه-، عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "لما خلق الله آدم قال: اذهب فسلّم على أولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام

---

(١) رواه أبو داود في سننه كتاب السنة، باب في الجهمية (١٣/ ١١، ١٢) وفي "السنن الكبرى للإمام البيهقي " برقم (١٢٠٣) .

(٢) سورة النساء: ٨٦

(٣) انظر التفسير البسيط : ١٢ / ٤٦٢

عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه رحمة الله"[١]. فالله- تعالى- يُعلِّم أبا البشرية كيف تكون التحية وما هي ألفاظها، وكأن السلام تحية الله سبحانه لعباده المؤمنين، وعليهم أن يردوا بما يليق بها، والسلام تحية الملائكة أيضًا قبل نزول آدم إلى الأرض، وأنه الأمانة التي حملها معه إلى ذريته، وعليهم أن يتعاملوا بها إلى يوم الدين.

ولعل ما يؤكد ذلك ما جاء في الصحيحين عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه — قَالَ: **"أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَ- صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّى، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ"**[٢].

لقد تعارف البشر على تحايا يحيي بعضهم بعضاً بها، ففي الجاهلية كان يقال: أنعم صباحاً، وأنعم مساء، ودمتم بخير، وغير ذلك من التحيات. وفي زماننا تردد عبارات: صباح الخير، ومساء الخير، ومشتقاتها. وهذه الألفاظ وإن كانت ألفاظ خيرٍ وسلامة، لكن الإسلام يختار لأهله أعلى الألفاظ وأجملها، وأحسن المعاني وأكملها. فقد اختار لهم هذه الجملة التامة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، دخل عمير بن وهب الجمحي على النبي عليه الصلاة والسلام - قبل أن يسلم عمير- فقال: أَنْعِمُوا صباحاً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **"قَدْ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْرُ، بِالسَّلَامِ: تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ " ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾**[٣].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٦) ومسلم (٢٨٤١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري "٣٨٢٠"، ومسلم "٢٤٣٢".

(٣) رواه الطبري "٢/ ٤٧٣"، "دار المعارف" والآية من سورة الأحزاب:٤٤

فالسلام ليس شعيرة موسمية موقوتة، ولا شعيرة في مكان دون مكان، ولا شعيرة خاصة بقوم دون قوم، بل هي شعيرة دائمة، وشعيرة عامة، للرجال والنساء والأطفال؛ فلذلك كان التفقه فيها مما يعني كل مسلم ومسلمة.

الأساس الرابع: أن الإسلام يدعوا إلى حرية الاعتقاد:

كلمة الحرية تعني: تحرر الفرد من القيود، وقدرته على التصرف باختيار وهو الذي يبتدئ بالسيادة على نفسه، وإذا تحقق له ذلك يكون حرًّا ،وهي أيضا تعني قدرة الشخص على التصرف في شئون نفسه وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه في نفس أو عرض أو مال أو مأوى أو أي حق من حقوقه، على أن لا يكون في تصرفه عدوان على غيره(١).

يقول الشيخ محمد الخضر حسين(٢): "ينصرف هذا اللقب الشريف في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة ويشابه معنى العتق الذي هو فك رقبة من الاسترقاق، وهو أن تعيش الأمة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن على قرار مكين من الاطمئنان(٣).

والحرية معناها أيضا: قدرتنا على اختيار الفعل مع استطاعتنا رفض القيام به، وبديهي أن هذا الاختيار يتصل بقدرة الفاعل وامكانياته .

---

(١) نظام الدولة الإسلام عبد الوهاب خلاف :ط دار الكتب العلمية بيروت صـــ ٣٣ .

(٢) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي، مولده بنغطة من بلاد تونس ١٨٧٦، تخرج بجامع الزيتونة تولى مشيخة الأزهر عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٥٤ واستقال من منصبه فكان أول شيخ للأزهر يستقيل من منصب شيخ الأزهر ، وكانت وفاته سنة ١٩٥٨ انظر الأعلام ١١٤/٦.

(٣) الحرية في الإسلام للشيخ الخضر حسين ط دار الاعتصام بالقاهرة صـــ ١١.

لذلك قرر الإسلام الحرية للإنسان وجعلها حقاً من حقوقه واتخذ منها دعامة لجميع ما سنه للناس من عقيدة وعبادة ونظم وتشريع، وتوسع الإسلام في إقرارها و لم يقيد حرية أحد إلا فيما فيه مصالح الناس المعتبرة واحترام الآخرين بعدم التدخل في شؤونهم وإلحاق الضرر بهم، لا في أعراضهم ولا في أموالهم ولا في أخلاقهم ولا في أديانهم ومقدساتهم وغير ذلك.

فالحرية في الإسلام لا تعني الفوضى وارتكاب الموبقات والمنكرات واستباحة محارم الله والانغماس في الشهوات المحرمة، الحرية التي تبيح هذه المحظورات هي فوضى، وتصور خاطئ للحرية، وقد صحح الإسلام هذا التصور الخاطئ وقرر حرية الناس منذ ولادتهم، وأنه لا يجوز استعبادهم كما لا يجوز تقييد حرياتهم، و كلُّ حقٍّ لهم يقابله واجب عليهم، ليكون هناك توازن في الحياة، فمفهوم الحرية من المنظور الإسلامي يتحقق من خلال الحقوق والواجبات باعتبارهما وجهين لحقيقة واحدة، لأن الحقوق من دون أن تقيد بالواجبات سيصبح الفرد فيها غير مرتبط بالآخرين وقد يعرف حقوقه ولا يعرف حقوق الآخرين عليه وبذلك يصبح انفرادياً في تعامله قاصراً عن أداء واجباته، فإذا كانت الحرية من منطلق الحقوق فقط دون الواجبات كان عدم التوازن في الحياة.

وقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود وبهذه المناهج في مختلف شؤون الحياة، وأخذ به في جميع القضايا التي تقتضى كرامة الفرد في شؤونها وهي المناحي المدنية والدينية ومناحي التفكير والتعبير، ومناحي السياسة والحكم حتى وصل إلى شأن رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه .



فالإسلام يقرر أن إنسانية الإنسان هي رهن حريته إذ لا يمكن أن تتحقق إنسانيته بدون حريته؛ فإن تحكم الآخرين عليه باستعباده بغير صورة شرعية وتدخلهم في شؤون حياته فيه إلغاء لحقوقه، فهو من منطلق هذا يعيش حياته آمناً على نفسه وأهله ولا يخشى عدوان حاكم ولا بطش ظالم .

وقد يظن البعض أنه مادامت الحرية مكفولةً وحقاً مقرراً شرعاً أباح لنفسه كل شيء، وإن كان ذلك على حساب الآخرين، وهذه هي الفوضى التي تقضي على أمن المجتمع واستقراره وسلامته

إن الله- سبحانه وتعالى- كرم الإنسان بحيث سخر له ما في السموات والأرض جميعاً منه، وجعله خليفة عنه وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض وليصل إلى أقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي.

وبعد هذا العرض أستطيع أن أقول: إن جوهر الإسلام وحقيقته هو توحيد الله قال الله- تعالى- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١) وليس التوحيد إلا انعتاقاً من العبودية لكل شيء سوى الله عز وجل، وقد عبر عن هذا المعنى ربعي بن عامر –رضي الله عنه- حين قال أمام طاغوت الفرس: "إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..."(٢).

---

(١) سورة النحل:٣٦.

(٢) البداية والنهاية للإمام ابن كثير: حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري ط دار إحياء التراث العربي : ٧/٤٠.

إن الحر– في تعاليم الإسلام– ليس بذاك الذي يرى حريته في تمتع بطيبات الدنيا وتقلب في نعيم الحياة، بل الحر حقا هو الصابر على تكاليف الشرع، الباذل في سبيل دينه ما يملك. العامل برضا ربه.

ولبيان قيمة الحرية في الإسلام نلاحظ أولاً أن التكليف بخطاب الشرع قائم عليها، أي أن الإنسان ما كلف بالأوامر والنواهي إلا لكونه حراً، وما أثيب ولا عوقب إلا نتاجاً لتلك الحرية، قال الله– تعالى– ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾[1] فهو لا يندفع بقوة خارجة عن نفسه إلى خير أو شر: ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[3].

إن المتأمل في تعاليم الإسلام ونظمه يرى أنه لا يمكن أن تتحقق كرامة الإنسان إلا من خلال إقرار حريته، حيث هو مكلف مسئول، وهذه المسئولية لن تتحقق إلا من خلال حريته التي تمثل ذاته في الاختيار، وإلا فكيف يكون مسئولاً؟![4].

لقد نص الإسلام على حرية العقيدة في كتابه الكريم، حيث يقول الله– تعالى– في ذلك: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ...﴾[5].

---

(١) سورة الكهف:٢٩.

(٢) سورة الأعراف:١٤٧.

(٣) سورة الشمس:٧–١٠.

(٤) حركة التغيير الاجتماعي في القرآن د. محسن عبد الحميد –٦٣ – طبعة وزارة الشئون الإسلامية – الإمارات. والآيات من سورة الشمس : ٦ – ١٠

(٥) سورة البقرة:: ٢٥٦



يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: أنه- تعالى- ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار، ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه- تعالى- لما بيّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعذر، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان[1].

ومما يؤكد هذا القول، أن الله- تعالى- قال بعد ذلك: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ يعني: ظهرت الدلائل، ووضحت البينات، ولم يبق بعدها إلا طريق القصر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز؛ لأنه ينافي التكليف.

ومعنى هذا: أنه إذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه عليه، وكان من نتيجة هذا الإكراه إسلام المكره، فإن حكم الإسلام لا يثبت في حقه، حتى تبدر منه علامات تدل على إسلامه اختيارًا، فإذا مات من أسلم مكرهًا قبل صدور هذه العلامات منه فحكمه حكم غير المسلمين، ولم يعامل معاملة المسلمين، وأيضًا إن رجع إلى الكفر لم يثبت في حقه حكم الردة، وبالتالي لا يجوز قتله، وهذا راجع إلى أنه أكره على شيء لا يبيح الإسلام إكراهه عليه، فلم يثبت حكمه في حقه، وهذه الحالة مشابهة لحالة المسلم إذا أكره على الكفر، حيث لا يعد كافرًا طالما قلبه مطمئن بالإيمان، يقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾[2].

---

(١) تفسير الفخر الرازي ـــ للإمام فخر الدين الرازي الشافعي دار النشر / دار إحياء التراث العربي: ١ / ٩٩٣، ٧ / ١٣.

(٢) سورة النحل: من الآية: ١٠٦



والحق هو ما شهد به الأعداء: تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "لا إكراه في الدين، هذا ما أمر به القرآن الكريم، فلم يفرض العرب على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فبدون أي إجبار على انتحال الدين الجديد اختفى معتنقو المسيحية اختفاء الجليد، إذ تشرق الشمس عليه بدفئها! وكما تميل الزهرة إلى النور ابتغاء المزيد من الحياة، هكذا انعطف الناس حتى من بقي على دينه، إلى السادة الفاتحين"[١].

الأساس الخامس: أن الإسلام يكفل حق التعايش:

لقد تعلّمنا أن الإسلام يدعو إلى حُسن التعامل مع سائرِ البشر وحِفظِ حقوقِ الإنسانِ وكرامتهِ وجميلِ التواصلِ معهُ، وحثنا على إعمارِ الأرض والسعي في الإصلاحِ وبثِّ رُوحِ التآلفِ والتآخي والتَّسامح، وحذَّرَنَا من الفساد وإهلاكِ الحرثِ والنَّسل وتلويث البيئة وقطع الأشجارِ وتعذيبِ الحيوانِ، فنحن أمَّةُ علمٍ وعَمَل وأمنٍ وإيمانٍ وعدلٍ وإنصافٍ وحبٍّ وسلام وبناءٍ وتعميرٍ، نسعى لإسعاد البشريَّة وبناءِ الحضارةِ على تقوى من اللهِ ورضوان.

لذلك أقول: إنَّ التعايش بين أهل الأديان وقبول الآخر، ينبغي أن ينطلقَ من الاحترام المتبادَل، ومِن الرَّغبة في التعاون فيما يمسُّ حياةَ الإنسان، ولعلَّ هذا ما أكَّد عليه القرآن الكريم بقوله: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**[٢].

---

(١) موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام المؤلف: أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين : الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع (دار وقفية دعوية) الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م (١/ ٣٠٦)

(٢) سورة الحجرات رقم : ١٣

فالتسامح الدينيُّ هو أعظم ثمرةٍ من ثمراتِ التَّعايش السلميِّ والتآخي الإنساني، والسماحة هي سهولة المعاملةِ فيما اعتادَ الناس فيه الشِّدة، فهي وسط بين الشِّدة والتَّساهل؛ أي: بين الإفراط والتفريط، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الخصلة فقال: "رحم الله رجلًا سَمْحًا إذا باعَ، وإذا اشترى، وإذا اقْتَضَى"(١). فالتسامح ينبثق من التعاليم الواردة في القرآن والسنة: "التي تحثُّ المسلمين على اعتمادِ السماحةِ في معاملةِ بعضِهم بعضًا، أو معاملة مَن يخالفونهم في الدين"(٢).

فالمجتمع الإسلاميُّ يتمتَّع برُوحِ السماحةِ وتقبُّل الآخر والتعايش معه، واللُّطف في المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانيَّة من البرِّ والرحمةِ والإحسان، ويتمتَّع أيضًا بمكارمِ الأخلاقِ، فلا يضيق صدرُه من آراء المخالفين وأفكارهم.

يقول "الإمام الأكبر أحمد الطيب": إن شريعة الإسلام شريعةٌ مؤسسةٌ على مبادئ العدل والمساواة والحرية وحفظ كَرامة الإنسان، وقد أعلن نبيُّ الإسلام مبدأ المساواة بين الناس في زمنٍ لم يكن قد نضج فيه العقلُ البشريُّ بالنضج الذي يؤهِّله لاستيعابِ فحوى هذا المبدأ أو التنبُّه لمحوريته في حياةِ الناس؛ لأنه لم يكن يعرف مجتمعًا غير مجتمعِ الطبقيَّة والعبيد والسادة، ومن قلب هذا الفراغ أطلق النبي محمد ﷺ صرخته الخالدة: " النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ"(٣). ولم تمض على وفاة النبي ﷺ عشر

---

(١) صحيح البخاري: كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقًّا فليطلبه في عفاف، ج٣، حديث رقم ٢٠٧٦، ص٥٧.

(٢) أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، د. حسن الميمي: نشر دار الغرب الإسلامي، تونس ، ١٩٩٨م، ص١٠١.

(٣) أخرجه الديلمي عن سهل بن سعد. يُنْظَر: كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني :ط مؤسسة الرسالة بيروت (٢/ ٤٥١).

سنوات حتى جاء الخليفةُ الثاني عمرُ بنُ الخطاب ليصرخَ هو الآخر في وجهِ أحد الولاة المسلمين، وهو يُعنِّفه: متى استعبدتم الناسَ وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ؟ ! [1].

ولقد جاء في وثيقةِ الأخوَّة الإنسانيَّة ما نصُّه: "باسمِ الشُّعُوبِ التي فقَدَتِ الأَمْنَ والسَّلامَ والتَّعايُشَ، وحَلَّ بها الدَّمارُ والخَرَابُ والتَّناحُرُ".

ولقد أكَّدت الوثيقة على: أنَّ الحريَّةَ حَقٌّ لكُلِّ إنسانٍ: اعتقادًا وفكرًا وتعبيرًا ومُمارَسةً، وأنَّ التَّعدُّدِيَّةَ والاختلافَ في الدِّينِ واللَّوْنِ والجِنسِ والعِرْقِ واللُّغةِ حِكمةٌ لَمشِيئةٍ إلهيَّةٍ، قد خَلَقَ اللهُ الْبشَرَ عليها، وجعَلَها أصلًا ثابتًا تَتَفرَّعُ عنه حُقُوقُ حُرِيَّةِ الاعتقادِ، وحُرِيَّةِ الاختلافِ، وتجريمِ إكراهِ الناسِ على دِينٍ بعَيْنِهِ أو ثقافةٍ مُحدَّدةٍ، أو فَرْضِ أسلوبٍ حضاريٍّ لا يَقبَلُه الآخَرُ" . كما أكَّدت الوثيقةُ أيضًا على: " أنَّ الحوارَ والتفاهُمَ ونشرَ ثقافةِ التسامُحِ وقَبُولِ الآخَرِ والتعايُشِ بين الناسِ، من شأنه أن يُسهِمَ في احتواءِ كثيرٍ من المشكلاتِ الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والبيئيَّة التي تُحاصِرُ جُزءًا كبيرًا من البَشَرِ"[2].

لذلك أختم كلمتي فأقول: لا شكَّ أنَّ المجتمع الإسلاميَّ يتمتَّع بِرُوح السماحة وتقبُّل الآخر والتعايش معه، واللُّطف في المعاملة، ويتمتع أيضًا بِحُلِّ مكارم الأخلاق، وهذا هو الهدف الأسمى من الشرائع السماويَّة.

---

(١) كلمة في البرلمان الألماني، الإمام الأكبر أحمد الطيب: بتاريخ ٥ من جمادى الآخرة، ١٤٣٧هـ، ١٥ من مارس، ٢٠١٦م، طبع دار القدس العربي، القاهرة، ط١، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص١٣.

(٢) وثيقة الأخوَّة الإنسانيَّة من أجل السلام العالمي والعيش المشترك، أ. د. أحمد الطيب شيخ الأزهر- البابا فرنسيس بابا الفاتيكان: ص١، ٢.

الأساس السادس: أن الإسلام يقضي على العنصرية:

إن من أهم أسس السلام القضاء على العنصرية، وإنشاء حضارة جديدة صالحة للبشر عامة، يرتفع فيها لواء العدل، وينتصر الحق على الباطل، وتنتشر المساواة بين الشعوب والأفراد، فلا يظلم قوي ضعيفاً، ولا يأكل غني فقيراً، وبذلك يسود السلام بين الشعوب بالمساواة بينهم، ويجعلهم جميعاً عناصر لأمة واحدة لا يمتاز فيها على شعب، ولا تفرق بينهم الفوارق أيا كان أمرها[(١)].

لقد جاء تقرير المساواة بين الشعوب والأعراق في الكثير من نصوص الكتاب والسنة على أجلى وجه، كما في قوله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[(٢)] وكما في قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وفي خطبة أيام التشريق: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى"[(٣)].

إن ما عند الله -تعالى- إنما ينال بالتقوى والعمل الصالح، فلا ينفع العربي نسبه إذا كان كافراً، ولمؤمن غير عربي أحب وأقرب عند الله -تعالى- من عربي فاجر، أما الفضل الذي خص به العرب، فهو كسعة الرزق وقوة البدن ونحوهما من النعم، التي تكون عوناً على التقوى لمن وفقه الله -تعالى- إلى ذلك، وقد تكون وبالاً على

---

(١) مجلة الرسالة أصدرها: أحمد حسن الزيات (ت ١٣٨٨هـ) العدد ٤٩٨ ص ٢٠ بتصرف .

(٢) سورة الحجرات: ١٣

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩٧٨) بإسناد صحيح.

صاحبها إذا كان كافراً أو فاجراً، فذلك الفضل لا ينفع بمجرده، إنما ينفع مع الإسلام والإيمان والعمل الصالح، كما ينتفع المؤمن الغني بماله في الصدقة .

فلا يوجد تفريق بين الناس في الفروض من الأوامر والنواهي، ولا تمييز بين الشعوب بتحريم حلال أو تحليل حرام على شعب دون شعب، ولم يأت في شيء من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية أيضاً ما يحكم بالنجاة من عذاب الله -تعالى- لمجرد الانتماء العرقي أو النسبي أو اللوني. بل النصوص واضحة كل الوضوح أن النجاة من عذاب الله والفوز بالجنة لا يكون بغير الإسلام والإيمان .

ولا غرو في أن يكون مثل هذا من أسس الإسلام للسلام، بل لا غرو في أن يكون هذا من أهم أغراضه، لأن الإسلام يمتاز على غيره من الأديان بأنه لم يشرع للآخرة وحدها، ولم يعمل لسعادة البشر فيها فقط، بل شرع لسعادة الدنيا والآخرة، وعمل على أن يكون البشر سعداء في دنياهم، قبل أن يكونوا سعداء في أخراهم [١].

---

(١) مجلة الرسالة مرجع سابق



المبحث الثالث

الأسس الإسلامية للتسامح

أولا: أهمية التسامح في الإسلام وموقف علماء الغرب منه:

التسامح يقصد به السهولة في التعامل واللين في الطبع كما سبق أن أوضحنا من قبل، هذه السمة المهمة التي وصف بها النبي- صلى الله عليه وسلم- هذا الدين فقال: **"أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ**(١) **السَّمْحَةُ"**(٢). وعن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: **"الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ"**(٣). والمقصود من الحنيفة السمحة الأعمال المائلة عن الباطل، والتي لا حرج فيها ولا تضييق كما أوضحنا، فالسماحة تعني الليونة والرفق والتيسير لذلك كانت قاعدة هذا الدين فقال تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾(٤) وقد استنبط العلماء قواعد أصولية من هذه الآية أهمها أن الحرج

---

(١) الحنيفية: دين إبراهيم عليه السلام، والحنيف المائل إلى الإسلام الثابت عليه ، والحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم عليه السلام. يراجع تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣ هـ)الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ٢٧٢/١٠ .

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٣٤٧) . وقال محقق تفسير البغوي هو حديث حسن صحيح بمجموع طرقه وشواهده، ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ : ٦٠١/١

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" ك/ الإيمان ب/ الدِّينُ يُسْرٌ : ٢٣/١ .

(٤) سورة الحج: ٧٨

مرفوع في الشريعة الإسلامية فكل تكليف يؤدي إلى حرج فإن الحرج مرفوع والمرء معذور ولا يخاطب بهذا الأمر الذي يحرجه ويشق عليه .

فكل التكاليف الشرعية وكل الأوامر معلقة حسب الاستطاعة وهذا من رحمة الله بالعباد وسمة من سمات هذا الدين قال الله –عز وجل-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(١) فجعل التقوى حسب الاستطاعة حتى في العبادات قال – صلى الله عليه وسلم-: "عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: "**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**"(٢) ولذلك جاءت التشريعات سمحة سهلة يسيرة فالمسافر يشرع له الفطر في رمضان – أي الصيام الواجب- ويشرع له أن يقصر الصلاة الرباعية وأن يجمع بين الصلاتين في حال السفر ويمسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليها وغيرها من الأحكام المتعلقة بالحاجة...أيضا هذه السماحة ليست خاصة بالعبادات الواجبة على الإنسان بل هي متعدية إلى معاملاته مع الآخرين، لذلك امتدح الله نبيه- صلى الله عليه وسلم- باللين والسماحة والرفق وهذا مما يؤلف بين المجتمع ويقرب بين أفراده فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٣).

وقبل أن أذكر صور ونماذج من سماحة الإسلام أود أن أذكر بعض أقوال أعداء

(١) سورة التغابن: ١٦

(٢) صحيح البخاري (١/ ٣٧٦):

(٣) سورة آل عمران: ١٥٩ وينظر الإسلام وبناء المجتمع للدكتور : عبدالله الريس بدون ذكر طبعة ص ٥٨_ ٥٩

الإسلام عن سماحة الإسلام فمما لا شك فيه أن الحق هو ما شهد به الإعداء .

يقول المؤرخ الإنجليزي السير توماس أرنولد في كتابه "الدعوة إلى الإسلام": "لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأولى للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح"(١).

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها؛ سمح لهم جميعاً دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم، وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال؟ ومتى؟ "(٢).

ويقول غوستاف لوبون: "إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم .. فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى"(٣).

---

(١) حضارة العرب (١٢٧) وراجع موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام (١/ ٣٠٦)

(٢) قصة الحضارة (١٣/ ١٣٣)

(٣) حضارة العرب - المؤلف: غوستاف لوبون : ترجمة: عادل زعيتر : الناشر: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة – مصر عام النشر: ٢٠١٢ م ص ١٠



ويقول أيضا: "وما جهله المؤرخون من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم كان من الأسباب السريعة في اتساع فتوحاتهم وفي سهولة اقتناع كثير من الأمم بدينهم ولغتهم... والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم"(١).

ويوافقه المؤرخ وول ديورانت فيقول: "وعلى الرغم من خطة التسامح الديني التي كان ينتهجها المسلمون الأولون، أو بسبب هذه الخطة اعتنق الدين الجديدَ معظمُ المسيحيين وجميع الزرادشتيين والوثنيين إلا عدداً قليلاً منهم... واستحوذ الدين الإسلامي على قلوب مئات الشعوب في البلدان الممتدة من الصين وأندونوسيا إلى مراكش والأندلس، وتملك خيالهم، وسيطر على أخلاقهم، وصاغ حياتهم، وبعث آمالاً تخفف عنهم بؤس الحياة ومتاعبها"(٢).

ثانيًا: أهم الأسس الإسلامية لسماحة الإسلام:

إن التسامح الديني يتجلى في حُسن معاملة الآخر ولطف المعاملة، ورعاية الجوار، وسعة المشاعر الإنسانية والبر والرحمة والإحسان، وكلها من الأمور التي تحتاج إليها الحياة اليومية، وفي ترغيب القرآن الكريم في البر والقسط بالمخالفين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين فمظاهر التسامح في الحضارة الإسلامية كثيرة وفي الصفحات التالية نتناول بعضا منها .

---

(١) نفس المرجع ص ١٤

(٢) قصة الحضارة : ول ديورانت طبعة بيروت (١٣/ ١٣٣).



الأساس الأول: من سماحة الإسلام البر مع غير المسلمين:

أمر الله في القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذى والقتال، وذلك ما ينطبق على مواطنينا من أهل الأديان وكذلك أهل سائر البلدان غير المسلمة، فكل هؤلاء يصدق فيهم قول الله– تعالى-: **﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾**[١].

قال الطبري: عُني بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عز وجل عمّ بقوله: **﴿الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾** جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض، ... وقوله: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾** يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويُحْسنون إلى من أحسن إليهم[٢].

والبر أعلى أنواع المعاملة، فقد أمر الله به في باب التعامل مع الوالدين، وقد وضحه رسول الله– صلى الله عليه وسلم– فعن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم قال: **"البر حسن الخلق"**[٣].

---

(١) سورة الممتحنة: ٨

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ٢٣/ ٣٢٣

(٣) أخرجه مسلم حديث رقم (٢٥٥٣).

ويذكر الإمام القرافي رحمه الله صورًا للبر يرى أن الآية تأمر المسلم بها، وتحكم من خلالها علاقته مع غير المسلمين ممن لم يحاربهم في الدين ولا الأرض، فيقول: "ولين القول على سبيل اللطف لهم والرحمة، لا على سبيل الخوف والذلة، عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول اللَّه- صلى الله عليه وسلم- عن البر والإثم قال: **"البر حسن الخلق"** لطفًا منا بهم، لا خوفًا وتعظيمًا، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، نصيحتهم في جميع أمور دينهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم .. وكل خير يحسُن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه، فإن ذلك من مكارم الأخلاق .. نعاملهم – بعد ذلك بما تقدم ذكره – امتثالاً لأمر ربنا- عز وجل- وأمر نبينا- صلى الله عليه وسلم-"(١).

لذلك حذر النبي- صلى الله عليه وسلم- من ظلم أهل الذمة وانتقاص حقوقهم، وجعل نفسه الشريفة خصمًا للمعتدي عليهم، عن صفوان بن سليم، عن ثلاثين من أبناء أصحاب رسول اللَّه- صلى الله عليه وسلم- في آبائهم دنية عن رسول اللَّه- صلى الله عليه وسلم- قال: **"أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوْ انْتَقصَهُ حَقَّهُ أَوْ كَلَّفَهُ فوقَ طَاقِتِه أَوْ أَخَذَ لَهُ شَيئًا بِغير حَقِّهِ فأَنَا حَجيجُهُ يَوْم القِيَامَةِ" وأشار رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم بيده إلا صدره "أَلَا وَمَنْ قَتَلَ رَجُلًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّه وَرَسُولهِ حَرَّم اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسيرةِ سَبْعَينَ خَرِيفًا"**(٢).

---

(١) الفروق للإمام القرافي (ت ٦٨٤ ه تحقيق عمر حسن القيام ط الرسالة العالمية : ٣/ ٢٢ .

(٢) أخرجه أبو داود حديث (٣٠٥٢) وينظر موافقة الخبر في تخريج أحاديث المختصر المؤلف: أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) حققه وعلق عليه: حمدي عبد المجيد وصبحي السيد جاسم السامرائي الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م ٢/ ١٨٤ .

ولقد تجلى حسن الخلق عند المسلمين في تعاملهم مع غيرهم في كثير من تشريعات الإسلام التي أبدعت الكثير من المواقف الفياضة بمشاعر الإنسانية والرفق، فمن أراد الزيادة فإن كتب السير فيها الكثير من المواقف المشرفة .

الأساس الثاني: من سماحة الإسلام حسن العشرة وصلة الرحم

فقد أوجب الإسلام حسن العشرة وصلة الرحم حتى مع الاختلاف في الدين، فقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين؛ وإن بذلا الجهد في رد ابنهما عن التوحيد إلى الشرك، فإن ذلك لا يقطع حقهما في بره وحسن صحبته: ﴿**وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[١] .

قال ابن كثير: "إن حرصًا عليك كل الحرص، على أن تتابعهما على دينهما؛ فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك أن تصاحبهما في الدنيا معروفاً أي محسناً إليهما"[٢].

وقد جاءت أسماء بنت الصديق إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تقول: يا رسول الله، قدمت عليّ أُمّي وهي راغبة، أفأَصِلُ أُمي؟ فأجابها الرحمة المهداة: "**صِلِي أُمَّك**"[٣].

---

(١) سورة لقمان: ١٥

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٤٦).

(٣) أخرجه البخاري ح (٢٦٢٠)، ومسلم ح (١٠٠٣).

قال الخطابي: "فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل المسلمة، ويستنبط منه وجوب نفقة الأب الكافر والأم الكافرة؛ وإن كان الولد مسلماً"[١].

ويمتد البر وصلة الرحم بالمسلم حتى تبلغ الرحم البعيدة التي مرت عليها المئات من السنين، فها هو- صلى الله عليه وسلم- يوصي أصحابه بأهل مصر خيرًا، برًا وصلة لرحم قديمة تعود إلى إبراهيم- عليه الصلاة والسلام-، حيث قال- صلى الله عليه وسلم-: "**إنكم ستفتحون مصر ... فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذِمة ورحِمًا**"[٢].

قال النووي: "وأما الذمة فهي الحرمة والحق، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم"[٣].

ومن البر وصلة الأرحام عيادة المريض، فقد عاد النبي- صلى الله عليه وسلم- عمه أبا طالب في مرضه[٤] وعاد أيضاً جاراً له من اليهود في مرضه، فقعد عند رأسه[٥].

الأساس الثالث: من سماحة الإسلام قبول تبادل الهدايا من غير المسلمين

إن من صور البر التي تهدف إلى كسب القلوب واستلال الشحناء؛ الهدية، وقد أهدى النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى مخالفيه في الدين، من ذلك ما رواه ابن زنجويه

---

(١) فتح الباري (٥/ ٢٣٤).

(٢) أخرجه مسلم ح (٢٥٤٣) وراجع التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم:ص٢٥.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/ ٩٧).

(٤) أخرجه أحمد ح (٢٠٠٩)، والترمذي ح (٣٢٣٢).

(٥) أخرجه البخاري ح (١٣٥٦)

أن رسول الله أهدى إلى أبي سفيان تمر عجوة، وهو بمكة، وكتب إليه يستهديه أدمًا، فأهدى إليه أبو سفيان(١).

وقبِل- صلى الله عليه وسلم- في خيبر هدية زينب بنت الحارث اليهودية، لكنها هدية غدر لا مودة، فقد أهدت له شاة مشوية دست له فيها السم(٢).

وفي مرة أخرى دعا يهودي النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى خبز شعير وإهالة سنخة، فأجابه- صلى الله عليه وسلم-(٣).

كما قبِل النبي- صلى الله عليه وسلم- هدايا الملوك إليه، فقِبل هدية المقوقس، وهدية ملك أيلة أكيدر، وهدية كسرى(٤).

قال ابن قدامة: "ويجوز قبول هدية الكفار من أهل الحرب لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قبل هدية المقوقس صاحب مصر"(٥).

ويروي البخاري في الأدب المفرد عن مجاهد أنه سمع عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه- يقول لغلام له يسلخ شاة: يا غلام إذا فرغت فابدأ بجارنا اليهودي. فقال رجل من القوم: اليهودي أصلحك الله!؟ فقال: سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم- يوصي بالجار، حتى خشينا أنه سيورثه(٦).

---

(١) أخرجه ابن زنجويه في كتاب الأموال (٢/ ٥٨٩).

(٢) أخرجه البخاري ح (٢٦١٧)، ومسلم ح (٢١٩٠).

(٣) أخرجه أحمد ح (١٢٧٨٩).

(٤) انظر البخاري ح (١٤٨٢)، وأحمد ح (٧٤٩).

(٥) المغني (٩/ ٢٦٢)

(٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ح (٩٥)

الأساس الرابع: من سماحة الإسلام الدعاء لغير المسلمين:

ومن أعظم أنواع البر وصوره ؛ دعاءُ النبي صلى الله عليه وسلم لغير المسلمين، وهو بعض رحمته صلى الله عليه وسلم للعالمين، ومنه دعاؤه لقبيلة دوس[١] فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ: هَلَكَتْ دَوْسٌ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَدَيْهِ، وَقَالَ: **"اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ"**[٢].

ولما قيل له- صلى الله عليه وسلم- في موطن آخر: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادعُ اللَّهَ عَلَى الْمُشركِينَ. قَالَ: **"إِنِي لَم أُبعَث لَعانًا، وَلَكِن بُعِثتُ رَحمَةً"**[٣].

ولعل ما وقع من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يوم فتح مكة خير شاهد على ذلك فعن أبي هريرة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حين سار إلى مكة، ذكر إلى أن قال: "دخل صناديد قريش من المشركين إلى الكعبة، وهم يظنون أن السيف لا يرفع عنهم، فطاف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بالبيت فصلى

---

(١) قبيلة باليمن معروفة ذات شرف ومكانة في القبائل العربية

(٢) أخرجه البخاري حديث (٢٩٣٧)، ومسلم حديث (٢٥٢٤).وراجع الأم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ١/ ١٨٩ .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧، كتاب البر والصلة : باب النهي عن لعن الدواب وغيرها حديث (٢٥٩٩)

ركعتين، ثم أتى الكعبة، فأخذ بعضادتي الباب فقال: ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: أخ كريم وابن عمّ حليم، فقال رسول اللَّه– صلى الله عليه وسلم–: أقول كما قال يوسف﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١).

الأساس الخامس: من سماحة الإسلام العدل مع غير المسلمين ورفع الظلم عنهم:

بعث الله نبيه– صلى الله عليه وسلم– بمكارم الأخلاق "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"(١)،

لعل من أهم الأخلاق التي جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم لحمايتها وتتميمها؛ العدل، وهو غاية قريبة ميسورة إذا كان الأمر متعلقاً بإخوة الدين أو النسب، وغيرها مما يتعاطف له البشر.

لكن صدق هذه الخُلة إنما يظهر إذا تباينت الأديان وتعارضت المصالح، وهو ما يعنينا في هذا الباب؟ لقد أمر القرآن الكريم بالعدل، وخصَّ – بمزيد تأكيده – على العدل مع المخالفين الذين قد يظلمهم المرء بسبب الاختلاف والنفرة، قال– تعالى–: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢).

قال القرطبي: "دلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العـــدل عليه، وأن

---

(١) إمتاع الأسماع بما للنبي– صلى الله عليه وسلم– من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع المؤلف: الإمام المقريزي (ت ٨٤٥ هـــ) تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـــ – ١٩٩٩ م ٢/ ٢٣٣

(٢) سورة المائدة: ٨

يُقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المُثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا، وغمّونا بذلك؛ فليس لنا أن نقتلهم بمثله قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم"[١].

وقال البيضاوي: "لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم، فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل، كمُثلة وقذف وقتل نساء وصِبية ونقض عهد، تشفياً مما في قلوبكم ﴿**ٱعۡدِلُوا۟ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ**﴾ أي: العدل أقرب للتقوى"[٢].

وتمضي الآيات القرآنية لترسم للمؤمنين طريقة التعامل مع أعدائهم من الكافرين الذين يحاربونهم في دينهم ويصدونهم عن قبلتهم، فتأمر بالعدل مرة أخرى، وتحذر من الاعتداء الذي قد يستدعيه الشنآن ﴿**وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُوا۟ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ**﴾[٣].

عَنْ جَابِرٍ الْجُعْفِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: وَجَدَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دِرْعَهُ عِنْدَ رَجُلٍ نَصْرَانِيٍّ، فَأَقْبَلَ بِهِ إِلَى شُرَيْحٍ يُخَاصِمُهُ. قَالَ: فَجَاءَ عَلِيٌّ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِ شُرَيْحٍ وَقَالَ: يَا شُرَيْحُ، لَوْ كَانَ خَصْمِي مُسْلِمًا مَا جَلَسْتُ إِلَّا مَعَهُ، وَلَكِنَّهُ نَصْرَانِيٌّ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا كُنْتُمْ تَقُولُ فِيمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ النَّصْرَانِيُّ: مَا الدِّرْعُ إِلَّا دِرْعِي، وَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عِنْدِي بِكَاذِبٍ. فَالْتَفَتَ شُرَيْحٌ إِلَى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١١٠)

(٢) مواهب الجليل، ص (١٣٧)

(٣) سورة المائدة: ٢

عَلِيٍّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلْ مِنْ بَيِّنَةٍ؟ فَضَحِكَ عَلِيٌّ وَقَالَ: أَصَابَ شُرَيْحٌ، مَا لِي بَيِّنَةٌ. فَقَضَى بِهَا شُرَيْحٌ لِلنَّصْرَانِيِّ. قَالَ: فَأَخَذَهَا النَّصْرَانِيُّ، وَمَشَى خُطًى ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الْأَنْبِيَاءِ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ قَدَّمَنِي إِلَى قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ! أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدِّرْعُ وَاللَّهِ دِرْعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اتَّبَعْتُ الْجَيْشَ وَأَنْتَ مُنْطَلِقٌ إِلَى صِفِّينَ فَخَرَجَتْ مِنْ بَعِيرِكَ الْأَوْرَقِ. فَقَالَ: أَمَا إِذْ أَسْلَمْتَ فَهِيَ لَكَ(١).

وعن عَبْد اللّه بن عبَّاس، قال: اسْتَعْدَى رَجُلٌ على عليّ بن أبي طَالِب إلى عُمَرَ بن الخَطَّاب، وكان عليٌّ جالِسًا في مَجلِس عُمَر بن الخَطَّاب، فالْتَفَت عُمَر إلى عليّ فقال: قُم يا أبا الحَسَن فاجْلِس مع خَصْمك، فقام عليٌّ فجلسَ مع خَصْمه فتناظرا، وانْصَرف الرَّجُل، ورجَع عليٌّ إلى مَجْلسه فجلسَ فيه، فتبيَنَّ عُمَرُ التَّغَيُّر في وَجْهِه، فقال له: يا أبا الحَسَن، ما لي أراك مُتَغيِّرًا، أكَرهتَ ما كان؟ قال: نعم يا أَمِيرَ المُؤْمنِيْن، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّك كَنَّيْتنِيّ، بحَضْرَة خَصْمِيّ، فألَّا قُلْتُ لي: قُمْ يا عليّ فاجْلس مع خَصْمكَ، فأخذَ عُمَرُ برأسِ عليٍّ فقبَّل بين عَيْنيه، ثمّ قال: بأبي أنْتمُ، بكم هَدانا اللّه، وبم أخْرجنا من الظُّلماتِ إلى النُّور(٢).

---

(١) البداية والنهاية : المؤلف: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، (١٤١٧ - ١٤٢٠ هـ) : ٦/ ١١٠

(٢) بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب : المؤلف: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي ابن العديم (ت ٦٦٠) المحقق: المهدي عيد الرواضية الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن – إنجلترا الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ م: ٤/ ٢٢٦

ولمزيد التأكيد يوصي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- المسلمين بعدم التعرض للمستضعفين من غير المسلمين بالظلم والتسلط، فيقول: النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم-: **"لَعَلَّكُمْ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا فَتَظْهَرُونَ عَلَيْهِمْ، فَيَبْغُونَكُمْ بِأَمْوَالِهِمْ دُونَ أَنْفُسِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ، وَيُصَالِحُونَكُمْ عَلَى صُلْحٍ، فَلا تُصِيبُونَ مِنْهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكُمْ"**(١).

---

(١) أخرجه أبو داود حديث رقم (٣٠٥١). الناشر: المطبعة الأنصارية بدهلي- الهند عام النشر: ١٣٢٣ هـ ٣/ ١٣٦

الخاتمـــة

وتتضمن أهم النتائج:

١ تبين للباحث أن السلام من أهم الخصائص التي اختص الله بها الأمة الإسلامية وهي الميزة التي تميز بها هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكا.

٢ السلام ليس من تحية المسلمين في الدنيا فقط بل إن ذلك يمتد إلى الآخرة وهذا وارد في القرآن الكريم والسنة النبوية.

٣ تبين بما لا يدع مجالا للشك أن السلام لا يعني غير الإسلام وكلاهما الاستسلام والانقياد لله- تعالى- وحده وكلاهما أيضا يحفظ السلم والسلام العالمي، ويقيم العدل والأمن في العالم أجمع، وبين البشر جميعًا بلا تفرقة أو تمييز .

٤ تبين أن التسامح الديني والحوار والعيش المشترك بين أتباع الأديان ينبغي أن يكون أساسًا في الانسجام واستيعاب الاختلاف وتجنب أسباب الصراع، ليتحوَّل الاختلاف إلى ثراء وليس إلى عداء.

٥ تبين من خلال شهادات كتاب الغرب ومفكريه أن التسامح من أهم أسس الإسلام ومظاهره، وأنه لا ينبغي أن نحكم على الإسلام بالتشدد أو عدم التسامح من خلال تصرفات بعض المنتسبين إليه، لأن منهج الشرع الشريف واضح في التزام التسامح والوسطية.



فهرس لأهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ الإسلام وبناء المجتمع للدكتور: عبدالله الريس بدون ذكر طبعة .

٢ إمتاع الأسماع بما للنبي- صلى الله عليه وسلم- من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع المؤلف: الإمام المقريزي (ت ٨٤٥ هــ) تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هــ - ١٩٩٩ .

٣ أهل الذمة في الحضارة الإسلامية، د. حسن الميمي شر دار الغرب الإسلامي، تونس، ١٩٩٨م.

٤ البحر المحيط (في التفسير) المؤلف: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت ٧٥٤ هــ) بعناية: صدقي محمد جميل العطار (جــ ١ و ١٠)- زهير جعيد (جــ ٢ إلى ٧) - عرفان العشا حسّونة: الناشر: دار الفكر – بيروت:

٥ البداية والنهاية للإمام ابن كثير: حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه علي شيري ط دار إحياء التراث العربي .

٦ بُغْيَة الطَّلَب في تاريخ حلب: المؤلف: كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي ابن العديم (ت ٦٦٠) المحقق: المهدي عيد الرواضية الناشر: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي- مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، لندن – إنجلترا الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هــ - ٢٠١٦ م.

٧ تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي تحقيق: جماعة من المختصين من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت .

٨ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (ت ١٣٥٣ هـ) الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت.

٩ التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠ تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ .

١١ تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - الطبعة: بدون تاريخ نشر

١٢ تفسير الفخر الرازي ـ للإمام فخر الدين الرازي الشافعي دار النشر / دار إحياء التراث العربي .

١٣ تفسير القرآن العظيم: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: سامي بن محمد السلامة: الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

١٤ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م .

١٥ الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

١٦ حركة التغيير الاجتماعي في القرآن د. محسن عبد الحميد –٦٣ – طبعة وزارة الشئون الإسلامية – الإمارات.

١٧ الحرية في الإسلام للشيخ الخضر حسين ط دار الاعتصام بالقاهرة .

١٨ حضارة العرب - المؤلف: غوستاف لوبون: ترجمة: عادل زعيتر: الناشر: مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة - مصر

١٩ سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) المؤلف: محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ) تحقيق: سهيل زكار الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢٠ السيرة النبوية لابن هشام المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣ هـ) المحقق: طه عبد الرؤوف سعد الناشر: شركة الطباعة الفنية المتحدة .

٢١ صحيح البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ) نسخة الحافظ: شرف الدين أبي الحسين علي بن

محمد اليونيني (٦٢١ - ٧٠١ هـ) اعتنى به: دار الكمال المتحدة عام النشر: ١٤٣٧ هـ.

٢٢ الفروق للإمام القرافي (ت ٦٨٤ ه تحقيق عمر حسن القيام ط الرسالة العالمية.

٢٣ قصة الحضارة: ول ديورانت طبعة بيروت

٢٤ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري : الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت

٢٥ لسان العرب: المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت ٧١١هـ)الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ا لناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٦ معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٧ المعين على تفهم الأربعين: المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص الشافعي المصري (ت ٨٠٤ هـ) دراسة وتحقيق: الدكتور دغش بن شبيب العجمي الناشر: مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي – الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

٢٨ مغازي الواقدي: المؤلف محمد بن عمر بن واقد [الواقدي] (ت ٢٠٧ هـ) تحقيق: د مارسدن جونس الناشر: جامعة أكسفورد - لندن، ١٩٦٦.

٢٩ مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني، ط دار المعرفة،

٣٠ مقاصد الشريعة الإسلامية: العلامة محمد الطاهر بن عاشور: ت ١٣٩٣ هـــ) المحقق: محمد الحبيب ابن الخوجة: الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر: النشر: ١٤٢٥ هـــ - ٢٠٠٤ م .

٣١ المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى للإمام الغزالي ط دار ابن حزم .

٣٢ موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام المؤلف: أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين: الناشر: دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع: الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـــ - ٢٠١٥ م .

٣٣ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم: لعدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد: الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة الطبعة: الرابعة .

٣٤ نظام الدولة الإسلام عبد الوهاب خلاف :ط دار الكتب العلمية بيروت.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث:.. ٨٨

المقدمة.. ٩١

المبحث الأول: تعريف المصطلحات المتعلقة بالبحث ٩٣

أولا: الإسلام لغة واصطلاحا:... ٩٣

ثانيا: السلام لغة واصطلاحا:... ٩٤

ثالثًا: التسامح لغة واصطلاحًا:.. ٩٨

المبحث الثاني: الأسس الإسلامية للسلام.............................. ١٠١

أولا: أهمية السلام في الإسلام:.. ١٠١

ثانيًا: أهم الأسس الإسلامية للسلام:.................................. ١٠٢

الأساس الأول : السلام هو أساس العلاقات الدولية في الإسلام:....... ١٠٢

الأساس الثاني: أن السلام اسم من أسماء الله الحسنى:................. ١٠٦

الأساس الثالث: أن السلام تحية الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة : ١٠٨

الأساس الرابع: أن الإسلام يدعوا إلى حرية الاعتقاد: ١١٠

الأساس الخامس: أن الإسلام يكفل حق التعايش: ١١٥

الأساس السادس: أن الإسلام يقضي على العنصرية:................. ١١٨

المبحث الثالث: الأسس الإسلامية للتسامح ١٢١

أولا: أهمية التسامح في الإسلام وموقف علماء الغرب منه:............ ١٢١

ثانيًا: أهم الأسس الإسلامية لسماحة الإسلام:........................ ١٢٤

الأساس الأول: من سماحة الإسلام البر مع غير المسلمين:............ ١٢٦

الأساس الثاني: من سماحة الإسلام حسن العشرة وصلة الرحم ١٢٨

الأساس الثالث: من سماحة الإسلام قبول تبادل الهدايا من غير المسلمين ١٢٩

الأساس الرابع: من سماحة الإسلام الدعاء لغير المسلمين: ١٣١

الأساس الخامس: من سماحة الإسلام العدل مع غير المسلمين ورفع الظلم عنهم: ١٣٢

الخاتمــــة ١٣٦

فهرس لأهم المصادر والمراجع.. ١٣٧

فهرس الموضوعات.. ١٤٢